تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

بعد المطيع الطائع ابنه

تولّى سبع عشرة سنة وتسعة شهور . وقد رفع منزلة سبكتكين الذي بايعه ولقّبه ناصر الدولة. وحدث خلاف في الشعب لان العرب السنّة والاتراك كانوا مع سبكتكين والعرب الشيعة والديلم مع عزّ الدولة . وقد قُتل خلقٌ كثير من الطّرفين واجتيحت دور كثيرة .

وفي السنة ١٢٨٦ لليونان (٩٧٥م) أقبل ايوني شموشكين ملك الروم الى سورية واحتلّ حمص وبعلبك . ولمّا انتوى ان يزحف الى دمشق كتب ابن الزيّات احد اقطاب سورية العرب الى الفتجان صاحبها ألّا يناوش الروم (١٩٤) لانهم اقوياء . فامتثل المشورة وبعث الى ايونيّ يمدّهُ بالطاعة وتأدية ثلاثمائة الف درهم جزيةً . فوافق الملك على ذلك . ولمّا شارف المدينة خرج الفتجان الى لقائهِ وترجّل وقبّل الارض امامه غير مرّة . فسُرّ الملك وأركبه واكرمه وأمر ان يُطارد حصانه امامه ويبدي فراستهُ . ففعل واثنى عليه الملك . فانحدر الفتجان وقبّل الارض فأمره الملك ان يركب ثانيةً وتخلّى له عن جزية سنة . فانحدر ايضاً وقبّل الارض . فطلب الملكُ حصانه وسلاحه ورمحه فدفعها له واضاف اليها اشياء اخرى وعقاقير وعشرين حصاناً ورماحاً كثيرة . لكنّ الملك اكتفى بحصانٍ واحد ورمح واحد لا غير وردّ له البقية شاكرًا ووشحه بحلّة فاخرة وأتحفه بمصوغات واوانٍ فضّية وبغال وانصرف الى صيدا وخرج الاهالي طائعين وادّوا له التقادم . فغادرهم الى بيروت وفتحها بالسيف وسبى

اهلها وانطلق الى جبلة فناهضه اهاليها فاحتلّها بالسيف وسباها وانصرف الى طرسوس . وهناك سقاه شقيق توفانة الملكة سمًّا . فاشتدّت علّته وبادر الى العاصمة وفيها حلّت وفاته . واستغرق ملكه اربعة اعوام. وكان ملكاً محنكاً بالجندية قويّ الجسم شجاعاً مظفراً في الحروب وقد ابدى الشهامة والعطف لكل احد واطلق الاسرى وشاد كنيسة فخمة في عاصمته . واحتلّ مدناً وبلاداً شتّى . فتأسّف عليه الكبير والصغير اشدّ التأسّف . وخلفه باسيل وقسطنطين ابنا الملك رومانس ثماني وخمسين سنة وعاشا معاً بوفاق تامّ . واقام قسطنطين في العاصمة وتولّى باسيل شقيقه مناوشة العرب لانه كان منجّذاً بالحروب .

وفي السنة ٣٦٧ للعرب (٩٧٧ م) فاض دجلة عشرين ذراعاً فوق المعتاد وقدّفقت المياه من آبار بغداد وبواليعها وانتقل اهاليها الى السفن ولزموها ليل نهار وهبطت دور كثيرة .

واقام الملكان الشقيقان دمستقاً يقال له وردوس انتقض عليهما وحاول ان يستبدّ بالبلاد التي اخذها الروم من العرب . ووجّه اخاه سفيراً الى عضد الدولة امير بغداد لينجده ويسعى لتأييده في بلاد الروم الشرقية ووعده بالطاعة طول حياته . ووجّه الملكان كذلك سفراء الى العرب يُحرّضانهم ان يرفضا اقتراح وردوس الباغي. فأعمل عضد الدولة الرويّة وقضى بوجوب مساعدة الملكين وتظاهر بعطفه على وردوس ومساعدته في كلّ شيْ . وبعد هذا وجّه الملكان العساكر لمناوشة وردوس . فكتب وردوس الى عضد الدولة وزحف الى الحدود في عددٍ قليل مطمئناً واثقاً به. لكن عضد الدولة اشار الى زعماء العرب فقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى مَن معه ومضوا بهم الى بغداد وحبسوهم هناك زمناً مديداً .

وفي السنة ٣٧٢ للعرب (٩٨٢ م) مات عضد الدولة امير بغداد . وكان في زمانه عليّ بن العبّاس الطبيب فصنّف له كتاباً اسماه «الملكيّ» باسمه لانّ الامراء المشاركين للخليفة في الحكم كانوا يلقّبون بالملوك. وعاش في ذلك الزمان كذلك ابو سهل المسيحيّ الطبيب الفاضل في خراسان وهو مصنّف الكتاب المشهور بالمائة مقالة وغيره من الكتب . وعليه قرأ الشيخ الرئيس (ابن سينا) ومات في السنّ الاربعين وخلفه صمصام الدولة اخوه .

وفي السنة ٣٧٣ للعرب (٩٨٣) حدث غلاء في بغداد حتى بيع كور الحنطة باربعة آلاف (١٩٦) وثمانين درهماً والشعير بالنين واربعين وهلك خلق كثير جوعاً.

وفي السنة ٣٧٦ للعرب (٩٨٦) دخل صمصام الدولة ليحيّي الخليفة الطائع وهو مستوٍ على عرشه وبهنئه بالعيد. وقبّل الارض ثم انتصب الى يمين العرش. ودخل الاقطاب بعده وصنعوا مثلما صنع. ثم اقبل الشعراء وجعلوا يقرظون صمصام الدولة بقصائدهم ويفضّلونه على الاقطاب فامتعضوا وتشاوروا سرّاً مع شرف الدولة احدهم والقوا القبض على صمصام الدولة وبعثوه الى قلعة ببلاد العجم وفقأوا عينيه وتولّى شرف الدولة الامارة. ولم يبقَ للخلفاء في تلك الاونة سوى الاسم والمناداة بخلافتهم. واصبحت جميع الاوامر والجنود والخزائن بقبضة الاعاجم.

وفي السنة ٣٧٨ للعرب (٩٨٨ م) اجتمع شرف الدولة بفلاسفة العرب وابتنى برجاً لرصد حركات الكواكب وضبط آلاتها ودوائرها النحاسيّة اقتداء بالخليفة المأمون وولّى ابا سهل يحيى بن رستم الجيليّ ليشرف على العمل.

وفي تموز هذه السنة هبّت ريح حارّة من الجنوب واجتاحت الكثيرين في الطرق وأتلفت الملّاحين بغتةً في نهرَي بغداد.

وفي السنة ٣٧٩ للعرب (٩٨٩ م) مات شرف الدولة وخلفه ابو نصر.

وفي السنة ٣٨٠ للعرب (٩٩٠ م) احتلّ سورية باجمعها العزيز خليفة مصر واستعمل عليها رجلاً نصرانيًّا مصريًّا يقال له عيسى بن نسطور. وكان عيسى فاضلاً متضلّعاً من الفقه وملأ الخزائن الملكية اموالاً وافرة. واقام العزيز في سورية كذلك كاتباً يهوديًّا اسمه منسّى بن القزّاز. وهذان الكاتبان استغنيا عن فقهاء العرب ونصبا بدلاً منهم كتّاباً نصارى. على ان فقيهاً عربيًّا أسنى مبلغاً معتبرًا (١٩٧) لامرأة مسكينة نجيبة ودفع اليها قرطاساً كتب فيه ما كتب واشار اليها ان تقف حيثما يمرّ الخليفة وتنادي بانها مظلومة وتدفع له القرطاس وكان فحواه: استحلفك بالله يا مَن عزّزت النصارى بعيسى بن نسطور واليهود بمنسّى بن القزّاز وذلّلت العربَ ان ترفق بي. قرأ العزيز تلك الكلمات وتبصّر في معناها وارسل يطلب المرأة فلم يعثر عليها احد. فسخط وحبس

عيسى ومنتى كليهما . وكان اهل البلاط جميعاً يحبّون عيسى فسألت ابنة الملك العزيز اطلاق سبيله . فدفع عيسى ثلاثمائة الف دينار وعاد الى منصبه.

واستبهظ اهالي تكريت يومئذ ما وضعه عليهم الولاة الظلّام من الضرائب فانتزحوا عن وطنهم وتشتتوا في البلاد وشادوا في كل مكان حلّوا فيه كنائس وديورة وأغنوها . واشتهر منهم خصوصاً ثلاثة اخوة كرام من آل ابي عمران اقبلوا الى ملطية وشادوا فيها كنائس واديارًا للراهبات وابتنوا في ضواحيها ديورة للرهبان . وجعلوا يوزعون كلّ يوم الحسنات على المساكين من الصباح حتى الظهر . فحسدهم باسيل ملك الروم على نعمتهم واضطرّهم ان يسكوا للدولة دنانير سنةً واحدة ففعلوا ولم تنقص ثروتهم . ثم احتاج اليهم وقرع بابهم وسألهم قرضةً فلبّوا طلبه بكلّ ارتياح ودفعوا له مائة قنطار ذهباً وردّ اليهم المبلغ كلّه لانه كان متصفاً بالعدل والاستقامة . ولما غزا الاتراك بلاد ملطية اقبل الشيخ ابو سالم اخوهم الكبير من الدير وكان الاتراك قد حبسوه هناك فقالوا له افتدِ نفسك لانك غنيّ . فقال لهم : اني مستعدّ ان اشتري الغنية كلّها ان شئتم ان تبيعوها . فضحكوا وقالوا : كم تؤدّي ؟ قال : عن كل شخص اؤدّي خمسة دنانير . قالوا : اشترينا (١٩٨) وطأنوه . فبعث وأحضر الذهب ودفعه اليهم وأنقذ خمسة عشر الفاً من الأسرى . ذكرنا هذا بايجاز دلالةً على ما كان عليه ابناء جماعتنا يومئذٍ من الجاه والثراء وما صاروا اليه من التعس والشقاء .

وفي هذه السنة عُزل الامير ابو النصر وخلفه الامير بها الدولة فطمع باموال الخليفة الطائع وتآمر سرًّا مع الديلم فثاروا عليه وهو مستوٍ على عرشه وجندلوه ولفّوه ببساط كان تحته . ثم اخذوا خطّ يده بتنزله عن الخلافة وأحضروا ابا العباس احمد بن اسحق بن المقتدر وبايعوه عام ٣٨١ للعرب(٩٩١م) وكنّوه القادر .

بعد الطائع القادر

تولى احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر . وفي السنة ٣٨٢ للعرب و١٣٠٤ لليونان (٩٩٣ م) احتلّ الروم خلاط وملازكرد وارغيش . ورضي ابو علي القائد

الارمني ان يؤدي لهم الجزية وتركه الملك باسيل بارمينيـة وعقد معه الهدنة لعشر سنوات .

وبرز في تلـك الغضون جمهور غفير من الارمن المدعوين سيناكريماية اي سنحاريبيين وتخلّوا عن حصونهم لباسيل ملك الروم فاعطاهم بدلًا منها سبسطية قبدوقية فتولّاها بطارقة ارمن وانتشروا فيها وفي قيليقية وسوريّة . قيل ان لدرملك وشراصر بعدما فتكا بسنحاريب ابيهما انهزما الى جبـال كردستان وامتزجا بالارمن ولذا لُقّبوا سنحاريبيّين .

وفي هذا الزمان وعلى سعد الدولة امير حلب ومات . وأوصى ان يخلفـه ابنُه ابو الفضائل ويناظره لؤلؤ القائد . فتاقت نفس العزيز خليفة مصر الى احتلال حلب وابتزاز خزائنها ووجّه اليها عبده منجوتكين في ثلاثين الف فارس (١٩٩) . فاستغاث لؤلؤ بالروم لان بغداد لم تنجده . وبعث سفيرًا الى الملك باسيل يتذلّل له ويطلب عسكرًا فسيّر اليه خمسين الفًا خيّالةً ورجّالـةً . ولمّا وصلوا الى نهر الارنط اعني العاصي بجانب انطاكية أسرع المصريّون وعبروا النهر واطبقوا على الروم وكسروهم وساروا الى حلب وحاصروها . فاحتـال لؤلؤ ورشى منجوتكين بذهب وافر فانحاز عنه وسار الى دمشق وكتب الى العزيز ان الجوع فتك بمن معي فاقبلت الى دمشق بالبقيّة ريثما نستجمع القوى فنعود الى حلب . فسخط العزيز اذ سمع انه انما ذهب الى دمشق لا للاستراحة بل للتنزّه وهو بعدُ في شرخ الشباب . فعزله واقام بدلًا منه قائدًا يقال له رُدبريا ووجّهه الى حلب . فابتاع ردبريا ذخيرة للجنود من الاسكندرية وانطلق الى افامية وخزن فيها مائتي الف قفيز حنطةً وشعيرًا وجعل العساكر يسيرون من حلب مسافة خمسة وعشرين فرسخًا وينقلون العلف لخيلهم . وظلّوا يحاصرون حلب ١٣ شهرًا وابتنوا لهم حمّامات وفنادق وحوانيت وتفاقم الجوع ضمن المدينة واشترى لؤلؤ القفيز بثلاثة دنانير وباعه من الحلبيّين بدينار واحد حرصًا على حياتهم . ثم احتال فارسل تكرارًا الى الملك باسيل يقول : إلم تستعجل في ارسال الجيوش نسيحتلّ المصريّون حلب ولن يتركوا لك انطاكية كذلك . فحشد الملك ثلاثين الفًا قطعوا مسافة ثلاثمائة فرسخ في ستة عشر يومًا ووصلوا

الى مرابض المصريين وكانت خيولهم ترعى مروج الربيع . ثم ارسل لؤلؤ الى دُبويا يقول : تدعوني العربية التي تربطني بك الى الشفقة عليك وعلى عسكرك . فاحذر لنفسك(٢٠٠) وانقذ العرب من فم السيف . واعلم ان الملك باسيل قادم بذاته ليقبض عليك . ثم انساب بعض الجواسيس وبلّغوه الامر فشمله الرعب واجفل عسكره وتركوا اثقالهم وأفلت كلّ منهم بجحانه . ووصل الروم واحتووا على ذخائرهم . وسار ابو الفضائل ولؤلؤ للسلام على الملك وقدّما له التقادم . وترك الملك حلب وانطلق الى قلعة سيرين ودوّخها . ثم سار الى حمص ودوّخها كذلك وأجلى منها عشرة الاف نسمة ونيّفاً . وتوجّه من هناك الى طرابلس وحاصرها اربعين يوماً فامتنعت عليه فتركها وعاد الى عاصمته .

اما العزيز خليفة مصر فحنق كل الحنق وحشد جيشاً ضخماً ينوي الزحف بذاته الى حلب ليحتلها . لكنّ القولنج الذي كان ينتابه لم يسوّغ له الزحف مدّة سنة كاملة . واخيراً سار عشرة فراسخ من مصر الى بلبيس وهناك عاجلته المنون وتولّى ابنه الحاكم الخلافة من بعده على مصر والمغرب عام ٣٨٦ للعرب (٩٩٦ م).

وقُتل في تلك الاثناء عيسى بن نسطور في مصر وتولّى مكانه ابو العلاء فهد بن ابرهيم اليعقوبيّ القبطي وكان كاتباً لبرجوان الحاجب الابيض قائد العسكر وهو الذي نصبه رئيساً على الكتّاب . وكان المسيحيّون يومئذٍ متولّين شؤون الوزارة في الدولة العربيّة المصريّة دون ان يضطرّهم احد الى جحود دينهم بخلاف ما يجري في عصرنا اذ ان العرب لا يعيطون الوزارة الّا بمن ينضم الى الاسلام .

وفي السنة ٣٨٧ للعرب وهي السنة ١٣٠٨ لليونان (٩٩٧ م) توجّه دوقاس الدمستق الى افامية وحاصرها وضيّق على اهاليها حتى بيع الكلب بدينارين ذهباً . واقبل اذ ذاك ابن صمصامة قائد الجيش المصريّ الى القلعة ليحرسها فتتبّعه الروم وفتكوا بالفي رجل من اصحابه وانهزم بقيّتهم .

اما الدمستق وابناهُ وعشرة من فرسانه فقد تسلّقوا تلّا (٢٠١) ليشرفوا على اشتباك الجيش الرومي بالجيش العربي وانهزام العرب من وجه الروم . فظهر اذ ذاك رجل كرديّ اسمه ابن كافا قصد ذلك التلّ راكباً حصاناً عربيّاً

ومدججاً بدرع وبيده رمح . فظنّ دوقاس انه قادم ليطلب الامان له ولاصحابه فلم يكترث له . غير ان الكردي فاجأ دوقاس برمحه وشقّ درعه وطعنه بين اضلاعه وفتك به وانقلب راجعاً . فبادر الروم الى قائدهم وقد سقط عن حصانه واوقعوا صيحةً في الجيش بان الدمستق قد صُرع . ورجع العرب فاوثقوا ابن الدمستق واستصفوا منه ستة آلاف دينار . وفتك العرب بعشرة آلاف من الروم ونقلوا رؤوسهم الى مصر . ثم ساروا الى انطاكية وسبوا وقتلوا واحرقوا الدساكر وتوجهوا ثانيةً الى دمشق واحتلّوها وكانت حتى هذا العهد في حوزة خلفا. بغداد .

وفي هذه السنة انتقض على العرب رجلٌ في صور اسمه علاقة ولاذ بالروم فقبض عليه المصريون ومضوا به الى مصر وسلخوه وهو حيّ وحشوا جلده تبناً وعلّقوه .

وكان في ذلك الزمان رجلان نصرانيان كاتبان في مدينة دقوقة استبدّا بها وببلدها . واتفق ان جبرائيل بن محمد القائد الفارسيّ مرّ من هناك قاصدًا بلاد الروم للغزو فخرج اليه الاهالي قائلين : لا حاجة الى الذهاب بعيدًا فان عندنا رجلين نصرانيَّين يتعدّيان علينا اكثر من الروم لو احتلّوا بلدنا فاظهر بطشك ان امكنك . فغار جبرائيل وأجهز عليهما واستبدّ بالمدينة متفقاً مع اهاليها واطلقوا عليه لقب «دبّوس الدولة» .

وفي شتاء السنة ٣٨٩ للعرب (٩٩٨ م) حدث برد قارس اجتاح الوف اشجار النخل ببغداد ولم يقم مقامها شيء من الشجر الّا بعد اعوام كثيرة (٢٠٢) . وفي هذه السنة سخط الحاكم خليفة مصر على برجوان الحاجب وقتله . مع ان هذا الحاجب كان يعطف على الحاكم لا يَدَعه يركب لغير ضرورة او يعطي احدًا عطيَّة دون استحقاق . فتأثر المصريون تأثرًا شديدًا وضجّوا وثاروا وساروا الى باب البلاط فخافهم الحاكم وقصد علّيَّة ووقف عند احد ابوابها وحيّاهم بالسلام ثم قال : قد استبان لي غدرٌ من برجوان فقتلته . والآن ارجو ان تكونوا معي لا عليّ لاني فتًى بعدُ . وبكى امامهم ولاطفهم فتركوه وانصرفوا . وبعد هذا استدعى الحاكم فهدًا النصرانيّ الكاتب ووشّحه

مجلة ملكيَّة ترطيباً لقلوب الاهالي وقال له : كن مطمئنًا وتولَّ توزيع ارزاق الدولة .

بيد انه ما مرَّت ثلاث سنوات حتى ناهض ابو طاهر وابن عدّاس الكاتبان العربيان فهدًا المذكور وافتريا عليه لدى الخليفة الحاكم فزجرهما ولم يكترث لدعواهما . الَّا انهما اتفقا بعد ذلك مع فريق من اصحابهما وجدّدوا الدعوى على النصارى فأمر الخليفة بقتل فهد على كره منه . وكان فهد اميناً جدًّا مستقيماً وعزيزًا على قلب الحاكم . فلم يَرَ الَّا ان استحضر ابناءه ووشَّحهم بحلل ملكيَّة وأمر ان لا يتعدَّى احد عليهم وعلى دورهم . فاستشاط ابن عدّاس وابو طاهر واستقلَّا بسورية وعاملا النصارى والعرب اقبح معاملة وفرضا عليهم ضرائب باهظة كي يتسنَّى لهما ان يؤديا ما ضمنا للحاكم . وكان لاخت الخليفة كاتب قبطي في سورية ارسل يشكو لها أبا طاهر وكان اخوها الحاكم يُعزّها جدًّا ويسمع لها . فدخلت وبكت لديه وحصَّلت منه امرًا بالاجهاز على ابي طاهر المذكور وارسال رأسه الى مصر وقد جرَّه الصبيان في الازقَّة تشفِّيًا . وامر الحاكم كذلك بقتل (٢٠٣) ابن عدّاس . فليكن ذكرهما للعنة ! واستراح منهما العرب والنصارى . وخلفهما في الكتابة منصور بن عبدون النصرانيّ فابتغته الاقطاب وتحاملوا عليه وعادَوا النصارى بسببه وعذَّبوا كتَّاباً كثيرين حتى اجهزوا عليهم والقوهم للكلاب . ونكَّلوا بمنصور عينه حتى ظنُّوه قد مات وألقوه للكلاب لكنَّ بعض الرجال مرّوا من هناك وحملوه على آخر رمق الى داره وقد ردَّه الخليفة الى منصبه بعدما تعافى واطلق عليه لقب الكافي . واصبح الناس جميعاً يهابون الحاكم وخلت مصر من المجرمين وراح الاهالي يفتحون ابواب حوانيتهم ليل نهار والحاكم يطوف المدينة راكباً لا يتجرأ أحد ان يقف او يسلِّم عليه . وكانت المصابيح مضيئة طول الليل في عهده كأنَّ الليلَ نهار .

وفي السنة ٣٩٢ للعرب (١٠٠١م) ثار العرب على النصارى في بغداد ونهبوا بيوتهم وتصدّوا للكنائس فاضرموا النيران في كنيسة الياقبة بجانب قطيعة القمح . فاندلعت والتهمت كثيرين من العرب رجالا ونساء وصبياناً في جملتهم الذين اضرموها فأمسوا عبرةً للناظرين .

وبعد سنة ظهر جراد كثير ببلد الموصل وبغداد ولاسيما في شيراز اجتاح الاعشاب واوراق الاشجار برمّتها وعاث بافشة القطارين حتى أمست رقعاً رقعاً اعادوها هكذا الى اصحابها . وحدث كذلك غلاء شديد حتى بيع كور الحنطة في بغداد بمائة وعشرين ديناراً . وبدت في الجوّ اعمدة ناريّة من القطب الشمالي حتى قبّة الفضاء . وظهر في السنة ٣٩٦ للعرب (١٠٠٥ م) نجم في برج العقرب شكل الزهرة كبراً وبهاء اخذت اشعّته تتموّج وتنير كالقمر وظلّ كذلك اربعة اشهر واضمحلّ . وسقط عام ٣٩٨ للعرب (١٠٠٧ م) ثلج في بغداد مكث نحو اسبوع على وجه الارض وبلغ علوّه ذراعاً او ذراعاً ونصف ذراع. واثلجت كذلك في ارض سنعار جمعاء، اعني في البصرة وعبادان ومهربان وجنابة مما لم يسمع بمثله في قديم الاحقاب .

وفي هذه السنة حدث رخصٌ وافر وبيع كور الحنطة باثني عشر ديناراً . وحدثت زلزلة هائلة في مدينة دينور اجتاحت دوراً جمّة . وأخرجوا من تحت الانقاض ستة عشر الف قتيل سوى من انشقّت الارض وابتلعتهم . وهبّت ريح سوداء في تكريت ودقوقة اتلفت بيوتاً عديدة واقتلعت اشجار النخل والزيتون برمّتها واغرقت مراكب كثيرة في بحر فارس .

وفي ٧ شعبان هذه السنة توفي ابو العلاء بن زرعة الفيلسوف النصرانيّ ببغداد . وفي هذه السنة عينها جاهر بالايمان المسيحيّ اهالي كريت احدى مدن الاتراك القاصية تنصّروا واعتمدوا باعجوبة حدثت لملكهم .

وفي هذا الزمان أمر الحاكم خليفة مصر ان تقوّض كنيسة القيامة باورشليم من اساساتها وتُنهب كلّ امتعتها . ودكّ الوفاً من كنائس مملكته . وأمر المؤذّنين ان ينادوا بان النصرانيّ الذي ينضمّ الى دين العرب يكرّم والذي لا ينضمّ اليه يحتقر . وأمر النصارى ان يعلّقوا في اعناقهم صلباناً واليهود شكل راس عجل إشارةً الى العجل الذي صنعه آباؤهم في البرية وسجدوا له . ونهاهم عن وضع الخواتم في الاصبع اليسرى وعن ركوب الخيل والاقتصار على ركوب البغال والحمير في سروج عاديّة وركب خشبيّة . والّا فمن أبى امتثال امره لزمه ان يرحل في ماله الى بلاد الروم . على ان النصارى الذين لم يرحلوا ولم

يجحدوا دينهم علقوا في اعناقهم صلبانا ذهبيَّة وفضيَّة واتخذوا لدوابهم سروجاً فاخرة ملوّنة . فسخط الحاكم واصدر الامر بقتل النصرانيّ الذي لا يعلق في عنقه (٢٠٥) صليبا خشبيًا وزنهُ اربعة ارطال بغدادية وقتل اليهودي الذي لا يعلق بعنقه خشبة شكل يد الجرس وزنها ستة ارطال . وان النصارى واليهود متى دخلوا الحمامات لزمهم ان يربطوا في رقابهم اجراساً صغيرة تميزاً لهم عن العرب.

أثار هذا الاضطهاد رجلٌ مبغضٌ للنصارى فأخبر الحاكم الخليفة بانهم عندما يجتمعون للاحتفال بعيد الفصح في كنيسة اورشليم يحتال وكلاؤها فيدهنون بالزيت سلسلة الحديد المعلّق بها قنديل القبر . وبعد ان يختم حاكم العرب باب القبر يوقدون من السطح ناراً في راس السلسلة فتجري حتى تصل الى الفتيلة وتضيئها ويصرخ الحاضرون كيرياليسون ويبكون كأنهم شاهدوا النور هابطاً من السماء على القبر ويرسخون في ايمانهم . وظلّ الخليفة الحاكم مسترسلًا في ضغطه على النصارى واليهود حتى ندم على فعلته هذه قبل وفاته واضطرهم ان يعود كلٌ الى دينه . ورخص للنصارى فابتنوا كنائسهم أحسنَ مما كانت قبلُ. وعاد المنهزمون الى بيوتهم من بلاد الروم .

. وفي ٢٦ شوال ٤٠٠ للعرب (١٠٠٩ م) توفي ابو نصر بشير بن هرون بن الجمال الكاتب النصرانيّ في بغداد . وفي السنة التالية كتب قرواش بن المقلّد صاحب الموصل الى الحاكم خليفة مصر أنَّ جراداً كثيفاً ظهر هناك وأنّ العرب المعدّيين يتلصّصون في كلّ ناحية . وانّ الطاعون يفتك بالاهالي والغلاء متفاقم بخراسان حتى بيع رطل الخبز بدينار ذهباً وأكل الناس الكلاب والجنائس ثم أجهزوا على الرضعان والفتيان وعلى من كانوا يشاهدونه سميناً بادناً فيقتلونه ويلتهمونه .

وفي السنة ٤٠٣ للعرب (١٠١٢ م) توفيت امرأة ابي نصر بن اسرائيل الكاتب المسيحي في بغداد وشيّعوها وقت الضحى (٢٠٦) في الصلبان والشمعات والقسّان والرهبان يصلّون والنساء ينددن بالدفوف . وان رجلًا عربيًا رجم النعش بالحجارة فسخط عبيد الأمير مناصح وكانوا محيطين بالنعش يحرسونه وضربوا بالسيف ذلك العربيّ . فهاج الاهالي وماجوا والتحم القتال ووقع قتلى كثيرون

من العرب والحارى . وانهزم ابو نصر زوج المتوفاة الى بيت الامير مناصح . ولم يبدأ الهيجان حتى استسلم ابو نصر وذهبوا به الى دار الخليفة فحبسه برهة ثم اطلقه وشمل الفرح جميع المسيحيين .

وبعد سنة ظهر جراد كثير ببغداد ملأ الارض وحجب الجوّ واجتاح الاشجار والنبات . وجعل الفلاحون يطردونه بالطبول والابواق .

وفي السنة ٤٠٥ للعرب (١٠١٤ م) حرّج الحاكم خليفة مصر على المرأة الخروج من بيتها والاشراف من الباب او من النافذة والسطح على الغادين والرائحين . ونهى السكافين ان يخيطوا احذيةً نسائيّة . وقد ساقه الى ذلك اطلاعه على فواحش المصريات وخلاعتهنّ . وتذرّع في اول الامر بعجائز اتخذهنّ جاسوسات يتبعنّ ويدخلن البيوت ويطّلعن على اسرار النساء ويُخبرنه عنهنّ وعمن يختلف اليهنّ . وكان الحاكم يبعث حاجبه مع الجنود الى بيت كان من كان من الاعيان او العامة فيقولون له : أخرج لنا فلانة ويسمون اسمها امرأةً او اختاً او بنتاً ويمضون بها اليه . وكان اذا اجتمع عنده خمسٌ او عشر منهنّ أمر باغراقهنّ في نهر النيل . ومن ثم افتضحت أسرار العواهر المصريّات وأمسين هدفاً للعار والشنار ووقع رعب الحاكم على الرجال والنساء اكثر من فرعون.

واضطر الاهالي اعواماً على مثل هذه الشدّة حتى كتب زعماء الجوار الى الحاكم يقولون : ان ارامل كثيرات لا اخوة ولا بنين ولا اهل لهنّ يهلكن جوعاً وعرياً ضمن بيوتهنّ ولم يبقَ من يشتري لهنّ قماشاً يشتغلنه او يتولى بيع ما ينسجنه . حينئذٍ (٢٠٧) أمر الحاكم ان يطوف السماسرة في البيوت وان تفتح المرأة باب بيتها وتعرض عليهم البضاعة بآلةٍ دون ان تُظهر وجهها او كفّها وتقبض ثمنها بالآلة عينها . ونهى النساء نهياً مطلقاً عن مغادرة بيوتهنّ وعن الذهاب الى الحمّام . وظلّ يواصل تلك الاوامر الشاذّة حتى قُتل .

وفي السنة ١٣٢٥ لليونان (١٠١٤ م) برز من الشعوب الصينيّة اثنتان وعشرون قبيلةً منها قبيلة الخطا وعددها مائتا الف وقبائل غيرها عددها ثلاثون الفاً او خمسون الفاً وزحفوا الى بلاد الهونيين . فسار اليهم احمد بن عليّ بن قراخان سلطان بخارى وناوشهم ونهب خيامهم واحتوى على الشيء الكثير من

آنية الذهب والفضّة والاقمشة الحريرية . وكانت قسيّهم وسهامهم اطول شبرًا من المعتاد .

وفي السنة ٤١٠ للعرب (١٠١٩ م) مات ابن قراخان سلطان بخارى وخالفه خوارزمشاه محمود بن سبكتكين وسار الى الهند واجتاح هناك مدنًا كثيرة وغنم غنائم وافرة وعاد راجعًا .

وتمادى الخليفة الحاكم حتى السنة ٤١١ للعرب (١٠٢٠ م) في الضغط على المصريين حتى كرهوه وأبغضوه جدًّا وجعلوا يكتبون رقاعًا يحشونها سبًّا وذمًّا وتهكُّمًا به وبنسائه ويغلّفونها ويدفعونها له ليلًا وهو راكبٌ ويختفون . وأفضى بهم الامر الى ان صنعوا من البردي شكل امرأة باسطةٍ يدها وبين اصابعها رقعة مكتوبة ونصبوها في احدى الزوايا ليلًا حيث يمرّ الحاكم وأخفوا الشبح بقرطاس ابيض . ولمّا مرّ وشاهدها احتدم سخطًا وأمر عبيده ان يقطّعوها بالسيوف . فانتهوا اليها ورأوها صورة خياليّة وانتزعوا القرطاس من يدها وانقلبوا فاخبروا الحاكم ففتح القرطاس وقرأ فيه كلمات قبيحة تمسّ شرف اخته العذرا. (٢٠٨) . فامر عبيده ان يجرّدوا السيوف ويفتكوا بكلّ مصريّ يصادفونه وينهبوا البيوت ويضرموا النيران في الشوارع . وقد تحرّش بهم المصريون مدة ثلاثة ايام وهلك من الجانبين خلقٌ كثير .

ولما خمد غضب الحاكم ارسل يقول لاخته : ان المصريين يكتبون لي ويتحاملون عليّ بسببكِ مدّعين انكِ تدخلين رجالًا الى بيتكِ وكذا وكذا . فبكت حتّى عدمت روعه وانصرفت . ثم عرفت سرًّا انه مزمع ان يرسل احدى القوابل لتشرف على بكارتها فخافت خوفًا شديدًا وانطلقت تحت الليل الى بيت شيخ كان يباب الحاكم مثلها واستحلفته ان يحفظ السرّ ثم قالت له : ان اخي ساخطٌ عليّ وعليك وعلى كل الاهالي رجالًا ونساء . وانا كما تعلم ما زلت في ميعة الشباب . وما فائدتي ما دمتُ محرومة لذّتي الطبيعيّة . فان امكنك ان تحتال في اهلاكه فاني اضرب لك عهدًا بان تكون لي زوجًا وان يتولى الخلافة ابن اخي الصغير اطمئنانًا لخواطر الاقطاب وتصبح انت بمثابة أبٍ ومشيرٍ ومدبّرٍ له . استطاب الشيخ كلامها وقال لها : علّميني اذن كيف

تدبير المكيدة . قالت : من عادة اخي ان يذهب وحده ليلًا ويتسلق قمة التلّ الفلاني ليتبصر في النجوم اذ قد كتب في طالعه ان الموت يدهمه في ليلة كذا فاذا فاتته نوبة الساعة عاش ثمانين سنة فوق ما عاش . بناء عليه استدع رجلين بطلين ممن يحفظون سرّك وارسلهما ليكمنا في حفرة من حفائر التلّ ثم يثبان اليه ويفتكان به . .وافق الشيخ على كلامها . وركب الحاكم جحشه وتسلّق التلّ وترك العبيد في لحفه واخذ معه صبيًا لا غير . وجعل يتطلّع نحو المشرق فأبصر المريخ صاعدًا نحو الافق الشرقيّ فتمتم بعض الكلمات وقال : لقد صعدتَ ايها اللعين سفّاك الدماء . قد ازفت ساعتي . وحين ذاك وثب اليه ذانك الرجلان من الكمين واوثقا رقبته بالنير وخنقاه . ثم قتلا الصبيّ والجحش وحملا الجثّة وانحدرا من ناحية اخرى وأتيا بها الى اخته . اما العبيد فقد مكثا مكانهم حتى الصباح ولم ينزل الحاكم كعادته . فتسلّقوا حتى قمة التلّ وشاهدوا الصبيّ مقتولًا والحمار مقزورًا ولم يعثروا على الحاكم وانقلبوا راجعين الى البلاط .

اضطرب الاقطاب والعبيد مبًا فاستدعتهم اخت الحاكم وقالت لهم : لا تتزعجوا ولا تقلقوا فانّ اخي قال لي : انه معرّض للموت في هذه الايام وانه سيتسلّق التلّ وينتقل من هناك راجلًا الى العزّية ويلبث سبعة ايام مختفيًا ثم يعود . امّا الصبيّ فهو الذي قتله لئلا يُفشي السرّ . ولما هدأ روعهم جعلت تدعوهم واحدًا فواحدًا وتبذل لهم العطاء بسخاء وتعدهم وعودًا طيبة . ثم استحلفتهم في تلك الفترة بشأن ابن اخيها الفتى ودعت اسمه الطاهر . وارسلت فاستحضرت اخاه الكبير من دمشق على ان يخلف اباه . ولمّا وصل الى تنيس بعثت من اوثقه وسجنه . ثم اشارت الى بعض العبيد فقبضوا على ذلك الشيخ الذي عقدت السرّ معه وعلى العبدَين اللذين فتكا بالحاكم وعلّقوا الثلاثة وقضوا عليهم . وأمرت المنادين ان ينادوا بانهم هم الذين غدروا بمولاهم وقتلوهُ وقد ردّ الله كيدهم في نحرهم .

تصرّفت تلك المرأة الجريئة بمثل هـذا التصرّف الغريب حتى اهلكت اخاها قبل ان يهلكها هو . وافتكرت في ان الثلاثة اذا ظلّوا احياء يُوزنون فلا بدّ من ان يذيعوا السرّ (٢١٠) وتُصبح عرضةً للذل والاحتقار . هكذا

نجت من كلّ خطر وتولّت تدبير المملكة واطلقت الحرية لاهوائها دون وجل.

وغلب على ظنّ الكثيرين لمّا اقاموا على مسئلة الحاكم كما شرحنا انه انتقل الى برية الاسقيط وترهّب وقضى حياته هناك . ولمّا كنتُ انا الحقير مقيماً في دمشق سمعتُ بعض الكتّاب المصريين يقولون : ان ربّنا يسوع المسيح تجلّى للحاكم وقتما كان يضطهد النصارى كما تجلّى لبولسَ الرسول فآمن وانتقل الى البرّية سرًّا ومات هناك . ويقال ان الحاكم لولا القليل لماثل فرعون في كفره. ففرعون كان يقول : لي النيل وانا خلقته (حزقيال ٢٩ : ٣) وهذا كان عنده اناس يدخلون ويقولون له : السلام عليك ايها الفرد الوحيد . عليك السلام يا مَن يميت ويحيي ويُغني ويفقر فيبتهج بذلك . على ان رجلًا من ممّلقيه ذهب الى مكة ودخل المسجد وحطم الحجر الاسود بمزراقه وهو يقول : لِمَ تسجدون وتقبّلون ايها الضالّون ؟ هل تسجدون لِما لا يضرّ ولا ينفع وتتركون مَن يميت ويحيي في مصر ؟

واشتهر في تلك الغضون ابو عليّ حسن بن الهيثم البصريّ المهندس البارع. وكان يقول : لو كنتُ في مصر لصنعتُ بنهر النيل صُنعاً يفيد ملوك الارض وعامّتها معاً . فبلغ قوله هذا الحاكم الخليفة وارسل فاستدعاه وتحفّى له ووعده باموال طائلة اذا اكمل ما يقول . فانطلق ابن الهيثم وطاف ارض القبط وشاهد اشكالًا سماوية مصوّرة هناك تصويرًا عجيباً وامثلةً هندسيّةً ونماذج باهرة فقال في نفسه : لو ان في الامكان انشاء عمل افضل من هذا لسبقني اليه الاقدمون. ثم انطلق الى مكانٍ عالٍ تجاه اسوان من حيث تتدفق وتنحدر مياه النيل واعمل الرويّة فيما فعرف انه يتعذّر عليه النهوض بما افتكر فيه . ذلك لشدّة تدفّق تلك المياه الوافرة . فاعتراه الخجل واعتذر للحاكم بعجزه . لكن الحاكم لم يقبل عذره . فخاف ابن الهيثم وتظاهر بالجنون تخلصاً من دهائه وشرّه . ولمّا افتضح امره اوثقوه بالسلاسل واستوزفوا كلّ ما اقتناه . وظلّ مخبلًا حتى توفيَ الحاكم ثم افاق وانزوى في بيت ملاصق للمسجد الكبير بالقاهرة واكبّ على النسخ والتأليف وصنّف نحو سبعين كتاباً في الهندسة . وكان ينسخ كلّ سنةٍ ثلاثة كتب من المجسطيّ والمتوسّطات واقليدس ويبيعها باثنيْ

وخمسين ديناراً مصرياً ويتعيش حتى توفي عام ٤٢٠ للعرب (١٠٢٩ م) .

وفي السنة ٤١٤ للعرب (١٠٢٣ م) سار خوارزمشاه محمود ثانيةً الى بلد الهند ودوّخ مدناً شتّى وتوغّل هناك مسافة اربعة اشهر حتى وصل الى قلعة كراكير وفيها ملك هنديّ فحاصرها حصاراً شديداً حتى جاءه سفير هندي حالماً على سرير يحمله اربعة رجال وقال له : ان مولاي يقول لك : من انتَ من البشر ؟ قال محمود : انا رجلٌ مسلمٌ ادعو الكفّار الى دين الله واضطهد عبدة الاوثان . فانتم الهنود إما ان تؤمنوا بالاهنا وتنهضوا بشريعتنا وتاكلوا لحم الثيران او تؤدوا لنا الجزية كل سنة الف فيل والف وزنة من ذهباً . قال السفير : لا يتيسّر لنا ان نأكل لحم الثيران . اما الدين الذي ذكرته فارسل الينا (٢١٢) من يلقّننا اياه فاذا رأيناه افضل من ديننا قبلناه . فوجّه محمود معلّماً عربياً دخل القلعة وكلّم الهنود بواسطة ترجمان فقالوا : لسنا نبدّل ديننا . وليس عندنا ذهب نؤديه لكم . لكنّ عندنا فضةً كثيرة وفي وسعنا ان نقدّم لكم ثلاثمائة فيل وكميّةً وافرةً من الفضة والاواني الفاخرة والعقاقير . قال المعلّم : نوافق على ذلك بشرط ان يلبس ملككم مثل ثيابنا ويتزنّر بسيفه ومنطقة ويبتر راس اصبعه كعادة الهنود تأييداً للقسم.

قال السفير العربيّ : لمّا دخلت مسكن الملك الهنديّ ألفيتُهُ على سواده شاباً جليلاً جميلاً خارقاً مستوياً على عرش فضّي لابساً رداء وسروالاً شفّافاً ومنديلاً في راسه . ولمّا لمحته صفّقت تصفيقاً حاداً وركمتُ بيديّ كعادة الهنود وسألته ان يلبس ثوباً فاعتذر كثيراً وقال : ارجو ان تعفيني من اللباس . وقل لمولاك : اني لبستُه . قلتُ : لا يمكنني ان اكذب على مولاي. فاضطرّ ان يلبس ويتزنّر ويتقلّد سيفاً على حقويه . وبعد هذا خجلتُ ان اقول له : ابتر اصبعك واكتفيت بان اسأله ان يحلف . فقال ان حلفنا هو بالاصنام والنار وانتم لا تقبلونها فبمَ تروم ان احلف لكم ؟ قلت له : انت تعرف . وعند ذاك أمر احد عبيده فجاءه بموسى تناولها بيمينه وبتر راس خنصره الايسر دون ان يتبدّل لونه وذرّى عليه دواء وربطه . ثم غسلوا القطعة المبتورة بماء جعلوا معه كافوراً وصرّوها . وبعد هذا اعطاه الملك بعض اوانٍ وفضّةً وحصانين .

وفي السنة ١٣٣٦ لليونان (١٠٢٥ م) توفي باسيل ملك الروم وقد ساس المملكة سياسة قوية حكيمة خمساً وخمسين سنةً وأخضع البلغار للروم وخلفه (٢١٣) اخوه قسطنطين وحده ثلاث سنوات . وكان قسطنطين دمث الاخلاق بشوشاً شهم النفس أوصى بالمملكة حين احتضاره لابن اخيه رومانس . وفي بعض النسخ صهره زوج ابنته .

وفي السنة ٤١٧ للعرب (١٠٢٦ م) حدث بردٌ نارس في بغداد زمان الشتاء وجمدت سواحل الفرات ودجلة وتلفت اشجار النخل . وجعل الناس يمرّون ماشين فوق الجليد في السواقي الصغيرة وتعذّر على الفلاحين زرع اراضيهم .

وفي هذه السنة صدر امرٌ في مصر بان لا يقتل احدٌ ثوراً يجرّ محراثاً . وفي هلال الربيع الاول من السنة التالية سقط بَرَد ضخم في بغداد نظير بيض الدجاج .

وفي السنة ١٣٤١ لليونان (١٠٣٠ م) وهي السنة ٤٢١ للعرب زحفت جيوش الروم من انطاكية الى حلب فناوشهم قليلٌ من العرب وانتصروا عليهم وقتلوا منهم كثيرين واحتووا على كثير من الخيل والاسلحة . على ان الملوك السابقين لرومانس كان النصر حليفهم في الحروب لانهم لم يكونوا يتشبّثون بالمسائل الدينيّة . اما رومانس هذا فقد عادى بطريركنا القديس ابن عبدون (١٠٠٤—١٠٣٠) واساقفته ونفاهم جارياً على عادة اليونان المكّارين القدماء . ولذا سمح الربّ بسحقهم تجاه أعدائهم .

بلغ رومانس خبر انكسار الروم في حلب فحشد مائة الف جندي ونيّفاً وأقبل الى انطاكية ومنها سار الى حلب . وسبقه رجلان من كبار الصقالبة في جيشهما فلاقاهم نحو مائة فارس من المعدّين والف من الرجّالة وانتصروا عليهم فرجعوا القهقرى واخبروا ان جيوشاً كثيفة بالغة حدّ الكثرة من مصريين ومعدّيين قادمون . فتخوّف الروم وامتطوا الخيل وانهزموا الى انطاكية دون حرب او ضرب . وتنبهم العرب وانتزعوا منهم سبعين بعيراً محمّلة (٢١٤) نقوداً وآنيةً ذهبيّة وفضيّة واقمشة فاخرة وبغالاً كثيرة حتى بيع البغل الجيد في حلب بدينارين . ولم يبقَ مع الملك رومانس فيما قيل خيمة او كاس يشرب

بها ما . وتوفي بغتةً وخلفه ميخائيل فناهضه قلفاط احد أنسبائه وظلّ خمسة اشهر يعانده حتى قُبض عليه وفُقئت عيناه كلتاهما .

وفي السنة ٤٢٢ للعرب (١٠٣٠ م) توفي الخليفة القادر بالغاً السابعة والثمانين. وكان ممتازاً بعفافه وفضله خلافاً لاسلافه . ويويع ابنه جعفر ودُعي القائم .

بعد القادر القائم ابنه

تولّى اربعاً واربعين سنة وثمانية شهور . وبايعه اقطاب العجم والاتراك والعرب قاطبةً مجبورين مسرورين . الّا ان الاتراك طالبوه كالعادة بالهدايا في فرصة مبايعته بالخلافة فلم يرضخ لهم في اول الامر شيئاً بسبب فراغ الخزانة من المال . لان الامراء الاعاجم كانوا متولين البلاد كلها حتى بغداد عينها ولم يَدعوا للخليفة سوى ارزاقه لا غير فاضطرّ ان يبيع الفندق والحدائق وبعض امتعة داره ويؤدي للاتراك ما طلبوه .

وكان يومئذٍ في الرها اميران عربيان يقيمان في برجين من ابراجها وهما ابن حطير وابن شبل فارسل اولهما الى ميخائيل ملك الروم وباعه برجهُ واربع قرى ببلاد الروم بعشرين الف دينار . وعند الليل اقبل الروم ودخلوا المدينة وملكوا البرج وتحصّنوا به وكان يشبه مدينة صغيرة . ثم خرج بعضهم الى المدينة واخربوا مسجد العرب . فسمع ناصر الدولة وبعث الجيوش فحاصروا الرها ونقبوا سورها ودخلوها وكسروا الكنيسة الكبرى وقد انهزم اليها النصارى فنهبوهم ونساءهم . ثم حاصروا البرج فامتنع عليهم (٢١٥) فاحتجّوا بهبوط الثلج وانصرفوا . وتمّ احتلال الروم للرها في خريف السنة ١٣٤٣ لليونان (١٠٣٢ م) و ٤٢٢ للعرب .

اما ناصر الدولة فوجّه الى الملك ميخائيل يعاتبه ويقول: ما الذي استفدتهُ بقدومك الى حلب دفعتين حتى طمعتَ بالرها الآن ؟ اني اشير عليك مشورة حبّة ان تنقل اصحابك منها والّا فسترى ما يصيبك من الجيش العربي . فاجابه الملك : اني لم آخذ الرها عنوةً لكني اشتريتُها من صاحبها شرعاً . ولو عرفتُ انها تبقى لك لرددتها . لكنّي على يقين من ان المعدّيين بني نمير لن يتركوها .

هكذا استخف ميخائيل بالعرب وبعث عشرة آلاف فارس يحرسون الرها ويبنون ما تهدم ثم اخذوا يغزون بلاد اكساس وحران وسروج حتى اضطر ابن وثاب النميري صاحب حران ان يؤدي لهم الجزية . وخضع كذلك حسان صاحب سورية للروم وعلق الصلبان في رؤوس أليته .

وفي السنة ٤٢٣ للعرب (١٠٣١ م) ولدت امرأة في بغداد شكل حية قصيرة القامة لها راس انسان وفم ورقبة دون يدين ورجلين . ولما سقط على الارض قال : من الآن الى اربع سنوات سيهلك الجوع الناس ويخرج الرجال والنساء والصبيان والبهائم ويبكون امام الرب طالبين انحدار المطر . وبلغ الخليفة الخبر فأمر ان يخرج الاهالي جميعاً ويقيمون الطلبات فخرج القليلون وظل الكثيرون ممن لم يصدقوا الخبر .

وفي تلك السنة جمدت المياه في بغداد وثار رمل احمر وهبط كالمطر وأتلف الاشجار ولم تثمر ثمرًا . وحدث غلاء فظيع في البرية حتى اكل المعدمون جمالهم وخيلهم واولادهم . وكان كل رجل يبدل ولده بولد جاره ويذبحه لئلا يتأثر . وما عدا الغلاء فقد ضايق الناس العطش بسبب قلة المطر . فقصدوا الانهر القريبة من المدن والقرى واقاموا هناك . وحدث طاعون في الهند وفي العجم كلها حتى شيعوا في اصفهان مدة اسبوع واحد اربعين الف نعش . ولم يبق بيت في بغداد دون حداد . ومات في الموصل بداء الجرب اربعة آلاف صبي .

وفي كانون ٤٢٥ للعرب و١٣٤٥ لليونان (١٠٣٤ م) عصفت ريح شديدة سوداء في نصيبين اقتلعت كثيرًا من اشجار الزيتون والتوت والعناب وقوضت بعض ابنية الحجار والكلس . ولحقها وابل من المطر وبرد كثير شكل كفوف وسواعد واصابع . وحدثت زلزلة في مصر وفلسطين وانهزم الناس من بيوتهم وظلوا تحت الفضاء ثمانية ايام . وهبط نصف بلد بالس وابتلعت الارض عدة قرى في سورية مع اهاليها وهدمت اساسات كنيسة اورشليم ومأذنة العرب في عسقلان وراس مأذنة غزة ونصف عكا . وجزر البحر نحو ثلاثة فراسخ ودخل الناس ليلتقطوا السمك والحلزون فرجعت المياه وابتلعت بعضهم . وظهر في شباط شكل عمود نور في برج السبلة منذ المساء حتى الصباح اياماً كثيرة

ثم هبط بعد ايام كوكب كالبرق الخاطف واضاء ارض سنعار جمعاء. وتوهم الكثيرون من العامة ان السماء انشقت . وحدث طاعون في بغداد اجتاح نحو سبعين الفاً من البشر بداء الخانوق . وهبّت بعد سنة رياح قوية في بحر فارس اغرقت اكثر من خمسين سفينة واهلكت اكثر من الف وخمسمائة انسان . وفاض البحر والانهار وتفجرت ميازيب السماء واجتاحت المياه كثيراً من القرى . قيل ان بعض الناس أفلتوا من الغرق بدفوف السفن والواحها وما كادوا يصلون الى البرّ حتى دهمهم الغير وردّهم ثانية (٢١٧) الى البحر واغرقهم .

وفي السنة ٤٢٧ للعرب (١٠٣٥ م) حشد ابن وثاب النميري صاحب حرّان جمهوراً غفيراً من الاكراد والمدنيين وسار الى سويرك وهي للروم ودوخها . وقتل فيها ثلاثة الاف وخمسمائة انسان . وسبى طائفة من النساء والفتيان . ثم زحف الى الرها وحاصرها ومنع عنها المؤونة . فتضايق الاهالي جوعاً وسلّموه المدينة وانهزم الروم وتحصّنوا في البرج فصوّب العرب القتال نحوه وفتكوا بمائتين وخمسين رجلاً وتعذّر عليهم اخذه فنهبوا المدينة وانقلبوا راجعين . وبلغ عدد الفتيان والفتيات الذين سوهم فيما قيل ثلاثة آلاف نسمة .

(له صلة)